سورة الغاشية

مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ استفهامٌ أُريد به التعجيب بما في حيِّزه، والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة، التي حقُّها أن يتناقلها الرواةُ، من كل حاضر وبادٍ ﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها كقوله تعالى: ﴿يومَ يغشاهم العذاب﴾ يعني القيامة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي وجوهُ الكفار[1]، وهو استئنافٌ وقع جواباً عن سؤال، نشأ عن الاستفهام، كأنه قيل من جهته ﷺ: ما أتاني؟ فقيل: وجوه يومئذٍ ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ أي ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان.

---

(١) المراد بالوجوه الأعيانُ والذوات، فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما يقال: جاءك وجوه القوم أي أعيانهم ورؤساؤهم.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾.

﴿عَامِلَةٌ﴾ أي تعمل في النار، وهو جرُّها السلاسل والأغلال، والصعود والهبوط في تلال النار ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ قيل هم أصحاب الصوامع «الرهبان»[1] ومعناه: نصبتْ في أعمالها من الصوم الدائب، والتهجد الواصب.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي تدخل ناراً متناهيةً في الحر.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي تسقى ماءً حاراً من عين متناهية الحرارة، وصَلَ حرُّها درجة النهاية.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو نبت يكون بطريق مكة تسميه قريش الشبرق، إذا كان رطباً تأكل منه الإبل، وإذا يبس صار كأظفار الهرة، والعذاب ألوان والمعذبون طبقاتٌ، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع، فلا تناقض بين الآيات، وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون عنده، ويتضرّعون إلى الله طلباً للخلاص منه.

---

(١) قال البخاري قال ابن عباس ﴿عاملة ناصبة﴾ يعني النصارى، انظر كتاب التفسير ٨/ ٧٠٠ ومراد ابن عباس أن الرهبان منهم يجهدون أنفسهم في العبادة ـ بزعمهم ـ ثم يَصْلَون نار جهنم في الآخرة.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وصف للضريع، أي منفعةُ الغذاء منتفية عنه وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله، وتحقيق ذلك أنَّ جوعهم وعطشهم، ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة، بل جوعهم أنه تعالى يسلِّط عليهم الجوع، بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع، فإذا أكلوه يُسلَّط عليهم العطشُ، فيضطرهم إلى شرب الحميم، كما قال تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطَّع أمعاءهم﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ شروع في حديث أهل الجنة، وتقديم حكاية حال أهل النار، لأنه أدخل في تهويل الغاشية ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي ذات بهجة وحسن، وإشراق ونضارة.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي رضيت بعملها وطاعتها، لمَّا رأت ما أدَّاها إليه من الكرامة، وأورثها الفردوس الأعلى، فحُقَّ لها أن ترضى.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي هم في حدائق وبساتين، مرتفعة قدراً ومكاناً.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾.

﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ أي الوجوه ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي في الجنة كلمةً ذات لغو، فإن كلامهم أذكارٌ وحِكَم، والجنة دار الطهر والسلام.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي فيها عيون كثيرة، يجري ماؤها ولا ينقطع.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ رفيعة القدر، مكلَّلة بالزبرجد والياقوت، عليها الحور العين ينتظرن أزواجهن.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم معدة للشرب.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي وسائد يستندون إليها للراحة، جمع نُمرقة ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض، مساند ومطارح، أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة، واستند إلى أخرى.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ أي بُسُطٌ عِرَاضٌ فاخرة جمع زربية وهي شبه الطنافس ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي مبسوطة في أنحاء الجنة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾؟ لمَّا نعت الله تعالى ما في هذه السورة، عجِبَ من ذلك الكفرةُ وكذّبوه، فذكّرهم الله عجائب صنعه فقال: ﴿أفلا ينظرون﴾ أي نظر اعتبار، والهمزة للإنكار والتوبيخ ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً دالاً

على قدرته تعالى، معدولاً به عن سنن خلقه سائر الحيوانات، في عظم جثتها، وشدة قوتها، وعجيب هيئتها، يتأتى ما يصدر عنها، من الأفاعيل الشاقة، كحملها الأحمال الثقيلة، والقيام بها بما يعجز عنه العصبة أولو القوة، ثم صبرها على الجوع والعطش، وتحتمل العطش إلى عشرٍ فصاعداً، واكتفائها باليسير، ورعيها بكل ما يتيسَّر، وانقيادها للإنسان، حيث يستعملها كل صغير وكبير.

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أي بلا عمد بحيث لا يناله الفهم والإدراك.

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ نصباً رصيناً لا تميل ولا تميد.

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ تمهيداً وتسويةً، حسبما يقتضيه صلاح أمور الخلائق، والمعنى: أفلا ينظرون نظر التدبُّر والاعتبار، إلى كيفية خلق هذه المخلوقات، الشاهدة بحقيقة البعث والنشور، ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار، وتخصيص هذه الأربعة بالاعتبار، لأن هذا خطاب للعرب أولاً، وأكثرهم يكون في البوادي، لا يرون سوى هذه الأشياء.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي فعظهم يا محمد وخوِّفهم بآي الذكر الحكيم، واقتصر على التذكير، ولا تلحَّ عليهم، ولا يهمنَّك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ليس عليك إلا التبليغ.

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد.

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ استثناء منقطع، أي لكنْ من تولى منهم، وأعرض عن الوعظ والتذكير، وكفر بالله العلي القدير.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ أي عذاب الآخرة، ويُحرقه بنار جهنم الكبرى.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ أي رجوعهم بعد الموت لا إلى أحدٍ سوانا.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم جزاء أمثالهم، و«على» لتأكيد الوعيد، لا للوجوب، إذ لا يجب على الله شيء والله تعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الغاشية»

* * *

سُورَةُ الفَجْرِ

مكية وهي ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾.

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم بالفجر، وهو الصبح، أو بصلاة الفجر، وهذا كقوله تعالى: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ ﴿والصبح إذا تنفس﴾ ﴿والنهار إذا تجلَّى﴾ أقسم الله به، لما يحصل فيه من انقضاء الليل، وظهور الضوء، وانتشار الناس والحيوانات، في طلب الأرزاق، وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم، وفيه عبرة لمن تأمل.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي عشر ذي الحجة، أو العشر الأوائل من محرم، أو العشر الآواخر من رمضان، وتنكيرها للتفخيم.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③﴾.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ شفع كل الأشياء ووترها، والشَّفع معناه: الزوجُ، والوترُ: الفردُ، والأشياء كلُّها إمَّا شفعٌ، وإمَّا وتر، فكأنه تعالى أقسم بجميع الأشياء.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④﴾.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ إذا يمضي، والتقييد بذلك، لما في التعاقب من قوة الدلالة، على كمال القدرة ووفور النعمة، وقيل معنى ﴿يَسۡرِ﴾ يُسرى فيه، كما يقال: ليل نائم أي ينام فيه.

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾.

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي فيما أقسمت به من هذه الأشياء، وهذا تحقيق وتقدير لفخامة شأن المقسم به، وتنبيه على أنه خليق بأن يؤكد به الإخبار، على طريقة قوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ ﴿قَسَمٞ﴾ أي مقسم به ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي عقل، سمي به لأنه يحجر صاحبه، أي يمنعه عن فعل القبيح، كما سمي عَقلاً، ونُهية، أي هل في القسم بهذه الأشياء، قسم مقنع لذي عقل؟ والمقسم عليه محذوف وهو «ليعذبن» يدلُّ عليه ﴿ألم تر كيف فعل﴾ إلى ﴿فصبَّ عليهم﴾.

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ ﴾.

﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ وإن كان في الظاهر خطاباً للنبي ﷺ، لكنه عام لكل من عَلِم ذلك، أي ألم تعلم أيها المخاطب علماً يقينياً، كيف عذب ربك عاد، فيعذب هؤلاء أيضاً؟ وإنما أطلق لفظ الرؤية ههنا على العلم، لأن أخبار عادٍ، وثمود، وفرعون، كانت منقولة بالتواتر، والعلم الضروري جار مجرى الرؤية ﴿ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ أي صنيع ربك ﴿بِعَادٍ﴾ يعني قوم عاد الجبارين.

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ﴾.

﴿ إِرَمَ ﴾ عطف بيان لعاد، على تقدير مضاف، أي سبط إرم، للإيذان بأنهم عاد الأولى، الأقوياء الأشداء ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ أي ذات البناء الرفيع الطويل، القائم على الأعمدة الضخمة.

﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ أي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم وشدتهم، وضخامة أجسامهم، روي أنه كان لعاد ابنان «شديد» و «شدَّاد» فمَلَكا ثم مات شديد، وخلص الأمر لشدَّاد، فسمع بذكر الجنة، فبنى إرم في صحارى عدن، وسماها إرم، فلمَّا تمت سار إليها بأهله، فلما كان منها على مسيرة يوم، بعث الله صيحة من السماء فهلكوا.

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ وَثَمُودَ ﴾ عطف على عاد ﴿ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ ﴾ أي قطعوا صخور الجبال، واتخذوه بيوتاً، قيل: أول من نحت الجبال والصخور ثمود، كقوله تعالى: ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾. ﴿ بِٱلْوَادِ ﴾ أي نقبوا الصخر بوادي القرى.

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ وَفِرْعَوْنَ ﴾ أي وكيف أهلك فرعون ﴿ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ أي ذي الجنود الكثيرة، وقيل: كان له أوتاد يعذب الناس بها، كما فعل بآسية حين آمنت.

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ أي طغى كل واحد منهم في بلادهم، وكذا الكلام في قوله تعالى:

﴿ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ بالكفر، والقتل، والظلم.

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

﴿ فَصَبَّ ﴾ أي فأنزل عاجلاً ﴿ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ وهو عبارة عما حلَّ بكل منهم من فنون العذاب، وتسميته سوطاً، للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أُعدَّ لهم في الآخرة، بمنزلة السوط عند السيف، والتعبير عن إنزاله بالصبِّ، للإيذان بكثرته، واستمراره وتتابعه، فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ المِرْصادُ: هو المكان الذي يترقب فيه الإنسان عدوه، ويرصده للفتك به، واسم الفاعل راصد، وهو تمثيل لإرصاده العباد وأنه عالم بما يصدر منهم، وحافظه ويجازيهم عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وفيه إشارة إلى أن كفار قومه ﷺ، سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب.

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ ﴾ متصل بما قبله كأنه قيل: إنه تعالى بصدد مراقبة عباده، فأما الإنسان فلا يهمه ذلك، وإنما مطمح أنظاره الدنيا ولذائذها ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ﴾ اختبره بالغنى واليسر ﴿ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴾ بالمال ﴿ وَنَعَّمَهُ ﴾ بما وسَّع عليه ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ فضَّلني بما أعطاني من المال والجاه[1]، حسبما كنت أستحقُّه، ولا يخطر بباله، أنه فضلٌ تفضَّل به عليه، ليبلوه أيشكر أم يكفر؟.

---

(١) لا يقول ذلك شكراً لله، واعترافاً بالنعمة، وإنما يقوله مفتخراً به على غيره، ومستدلاً به على علوّ منزلته، كما قال قارون ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ فهو قول يراد به الاعتزاز والافتخار، لا شكر الجبار.

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ بالفقر ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ ﴾ فضيَّق عليه ﴿ رِزْقَهُۥ ﴾ معيشته ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ بالفقر، وضيق المعيشة، ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع، مع أنه ليس من الإهانة في شيء، بل التقتير والتضييق قد يؤدى إلى كرامة الدارين، والتوسعة وقد تفضي إلى خسرانهما، وحصول النعمة في الدنيا وآلامها، لا يدل على الاستحقاق، فإنه تعالى كثيراً ما يوسِّع على العصاة والكفرة، على سبيل الاستدراج، وقد يضيِّق على الصدِّيقين لما ادَّخره لهم في الآخرة، والحقيقة لا يطّلع عليها إلا الله.

﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ للإنسان عن مقالته المحكية، وتكذيب له في كلتا الحالتين، أي ليس الإكرام والإهانةُ في كثرة المال وقلَّته، بل الإكرام في التوفيق للطاعة، والإهانة في الخذلان ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ الالتفاتُ إلى الخطاب، للإيذان باقتضاء جنايته لمشافهته بالتوبيخ، وتشديد التقريع، أي بل لكم أحوال أشدُّ شراً مما ذكر، وأدل على تهالككم على المال، حيث يكرمكم الله بكثرة المال، فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم.

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ ولا تحثون أنفسكم وغيركم ﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أي على إطعامه.

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ ﴾ .

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ أي الميراث ﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ اللَّمُّ مصدر بمعنى أكلاً لاماً، أي أكلاً بشره وأصلُ اللمِّ الجمعُ، ومنه قولهم: لمَّ الله شمله

أي جمع عليه شمله، أي تأكلون الميراث أكلاً شديداً، تجمعون فيه بين الحلال والحرام، فقد كانوا لا يورِّثون النساء، ولا الصبيان، ويأكلون ميراثهم مع ما ورثوه من أقاربهم، وآكل اللمم هو الذي يأكل كل شيء يجده، لا يسأل أحلال أم حرام؟ وهو ذمٌ لهم على الشراهة على المال.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً شديداً مع الحرص والشهرة، وقصر الهمة على تحصيلها والاتكال عليه، يقال: جمَّ الشيء: كثر، فهو جمٌّ، ومال جمٌّ أي كثير.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك، وإنكار لفعلهم أي لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي إذا زلزلت دكاً بعد دك أي كرر عليها الدك حتى عادت هباءً منبثاً، وذلك عند النفخة الثانية، أي إذا دُقَّت وكسرت مَرّة بعد مرة أخرى.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء بين العباد ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي تنزل ملائكة السماء، فيصطفُّون صفاً بعد صف، محدقين بالجن والإنس.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿بِجَهَنَّمَ﴾ قيل إنها برزت لأهلها، كقوله تعالى: ﴿وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي

يتذكر ما فرط منه بمشاهدة آثاره، فيقول: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ وأين له منفعة الذكرى وقد فات أوانها؟.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يقول يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه، أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة أنتفع بها اليوم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ﴾ أي كعذابه ﴿أَحَدٌ﴾ أي لا يتولى عذاب الله أحد، لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بالسلاسل والأغلال ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي كعذابه تعالى في الشدة، والضمير لله تعالى، أو للإنسان وهو الكافر، أي لا يُعذب أحد من مثل ما يعذبه الكافر، فإن عذاب الله له شديد ﴿والله شديد العقاب﴾.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله تعالى، إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، وهي النفس المؤمنة التي سكنها ثلج اليقين، فلا يخالجها شك، وصفت هنا بالاطمئنان، لأنها تترقى في معارج الأسباب، إلى ربِّ الأرباب، فتكون بجوار قدسه، أي يقول الله تعالى ذلك على لسان الملك عند تمام الحساب، واعلم أن الله تعالى ذكر النفس في القرآن تارة مطلقاً، وتارة وصَفَها بالسوء، وتارة باللَوامة، وتارةً بالمطمئنة.

﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾.

﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أي ارجعي إلى ثواب ربك وجنته، حال كونك ﴿رَاضِيَةٗ﴾ من الله تعالى بما أوتيتِ من النعيم المقيم ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ عند الله تعالى بما عملتِ.

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴾ أي في زمرة عبادي، أي انضمي إلى عبادي المقربين.

﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ معهم وانتظمي في سلك المقرَّبين ﴿مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً﴾ واستضيئي بأنوارهم القدسية، وهذا تكريم لهم من الله عظيم، بدخول جنات النعيم، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الفجر»

* * *

سُورَةُ البَلَدِ

مكية وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وهي مكة في قول جميع المفسرين، لأن الله تعالى جعلها حرماً آمناً، وجعل البيت قبلة لأهل المشرق والمغرب، وأمر الناس بحج ذلك البيت، وحرّم فيه الصيد، فهذه الفضائل لمَّا اجتمعت في مكة أقسم الله بها.

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾.

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ قيّده بحلوله ﷺ، إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأنَّ شرف المكان بشرف أهله، ولبيان أنه ﷺ مع جلالة قدره، وعظم حرمته، قد استحلوا إيذاءه في هذا البلد الحرام، وتعرضوا له بما لا خير فيه.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الوالد آدم عليه السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريته وقيل:

المراد العموم، أيّ أقسم لكم بكل والد ومولود، وهذا حسنٌ لأنه مضمون الجواب، من حيث شموله للكل أقسم تعالى بآدم وذريته، إذ هم أعجب خلق الله على وجه الأرض، لما فيهم من البيان، والنطق، والتدبير، واستخراج العلوم والفنون.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ أي في تعبٍ ومشقة، فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد، والكَبَدُ بفتحتين: المشقَّةُ، وهو تسلية لرسول الله ﷺ ممَّا كان يكابده من كفار قريش والإنسان لا يزال في الشدائد، مبدؤها الرحم، ومنتهاها الموت.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ استفهام على سبيل الإنكار، والضمير لبعض صناديد قريش، الذين كان ﷺ يكابد منهم ما يكابد، كالوليد وأضرابه، وقيل: يراد به أبو الأشدِّ بن كِلْدة، وكان شديد القوة، مغتراً بقوته وكان يبسط له الأديم ـ الجلد ـ فيقوم عليه، ويقول من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة فينقطع الأديم قطعاً ولا تزلُّ قدماه، والمعنى: أيظن هذا الأحمق أن لن تقوم القيامة ولن يقدر أحد على الانتقام منه.

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ يَقُولُ ﴾ أي يقول ذلك الصنديد ﴿ أَهْلَكْتُ ﴾ أنفقت ﴿ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أي كثيراً، جمع لبدة، وهو ما تلبَّد من شعرٍ أو صوف والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة ومعاداةً للرسول ﷺ.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حين كان ينفق، يعني أيظن أنَّ الله لم يره، ولن يسأله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾؟ يبصر بهما.

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾.

﴿وَلِسَانًا﴾ يعبّر به عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما ثغره، ويستعين بهما على النطق، والأكل، والشرب، والنفخ، وغيرها.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي طريق الخير، والشر، المفضيَيْن إلى الجنة أو النار، وهذه الآية كالآية ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحامُ: الدخول في الأمر الشديد، أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد، عبَّر عنها بالعقبة، وهو الطريق في الجبل، لصعوبة سلوكها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ أي أيَّ شيءٍ أعلمك ما اقتحام العقبة؟.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي هو إعتاق رقبة، فككت الأسير إذا خلصته من الرق، وكانت عادة العرب في الأسارى، شد رقابهم وأيديهم، فسمي إطلاق الأسير فكاكاً.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي ذا مجاعة.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة، اجتمع حق اليتيم، والقرابة، فإطعامه أفضل.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ يعني قد لصق بالتراب من فقره، فالمعنى: إن الإنفاق على هذا الوجه، مرضي نافع عند الله، لا أن يهلك ماله في الرياء والفخار.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي كان مع ذلك مؤمناً، صادق الإيمان، فإنه إن لم يكن منهم، لم ينتفع بهذه الطاعات ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعات، وعلى المِحن التي تصيب الإنسان في حياته، فالدنيا ابتلاء ومحن، ولا يصبر على البلاء إلاَّ صادق الإيمان، وهذا يدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق، ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ تحاثوا

﴿بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ بالترحم على عباده فيما بينهم، إشارة إلى الشفقة على خلق الله، قال بعض المحققين: إن الأصل في التصوف أمران: صدقٌ مع الحق، وخُلُق مع الخلق.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أي اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ويسعدون بدخول جنات النعيم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي بآيات القرآن، وكذبوا الرحمن، واستهزؤوا برسوله ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الشمال أو الشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة، من أوصدتُ الباب إذا أطبقته وأغلقته، أي عليهم نار مغلقة مطبقة، لا يستطيعون الخروج منها، ولا الفكاك عنها، والله أعلم.

والصلاة والسلام على رسولنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة البلد»

* * *

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أي ضوءها إذا أشرقت وهو أول وقت ارتفاع النهار، والضَّحوة مثله، جمعه ضُحى، مثل قرية وقرى.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها في الضياء والنور، وذلك بعد غروبها في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة، ثم يكبر ويكبر حتى يصبح بدراً منيراً.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣﴾.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي جلّى الشمسَ: أظهرها للرائين، أو جلّى ظلمة الليل بنوره وضيائه الباهر، فجعل الأرض منيرة ساطعة، بعد أن كانت مظلمة قاتمة والظاهر أنَّ الضمير في ﴿جَلاَّهَا﴾ عائد إلى الشمس، لأن

النهار عبارة عن نور الشمس، فكلما كان النهار أوضح كانت الشمس أجلى ظهوراً، لأن قوة الأثر تدل على قوة المؤثر.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ أي الشمس فيغطي ضوءها، أو الآفاق أو الأرض.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ أي ومن بناها، وإنما أوثرت «ما» على «من» لإرادة معنى الوصف كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها، فإن قيل: ما الفائدة في ذكره هذه الأوصاف؟ فالجواب أنه تعالى لما وصف الشمس بالصفات التي تدل على عظمتها، أتبعه بيان ما يدلُّ على حدوثها، وحدوث جميع الأجرام السماوية، فنبه تعالى على تلك الدلالة بهذه الأوصاف.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ أي بسطها وسطحها، فجعل فيها السهول الفسيحة، وجعلها ممتدة ممهَّدة صالحة لسكنى الإنسان مع أنها كروية الشكل.

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أي عدَّل خلقها، وتنكير نفس للتكثير، وقيل «ما» بمعنى المصدر، أي والسماء وبنائها، والأرض وبسطِها، والقول الأول هو الأصح والأظهر، لأن الله أقسم بالمخلوق والخالق، فأقسم بهذه الأشياء العظام لأنها تدل على عظمة خالقها.

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ أي فأعلمها طاعتها، ومعصيتها، أي أفهمها أن أحدهما حسن، والآخر قبيح، ومكَّنها من اختيار أيهما شاءت، وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل، والتعليمُ والتفهيم غير الإلهام، فالإلهام مستعملٌ فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد، لأنه كالإبلاغ، فالإلهام أن يوقع الله في قلب العبد شيئاً.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي فاز وأفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وأعلاها بالتقوى، وهو جواب القسم.

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ أي خسر وخاب، وتكرار «قد» لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي من نقَّصها وأخفاها بالفجور، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها»[1].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ أي بطغيانها، إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الذكر رقم ٢٧٢٢ ولفظه «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها..» الحديث، وأخرجه النسائي في الاستعاذة ٨/ ٢٦٠ والترمذي في الدعوات رقم ٣٥٦٧.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ أي حين قام بعقر الناقة ﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾ أشقى ثمود وهو «قُدار بن سالف» ويُضرب به المثل يقال: أشأمُ من قُدار، وهذا يتأكد بقوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ هو ومن تصدّى معه لعقر الناقة من الأشقياء، فإن أفعل التفضيل إذا أُضيف، يصلح للواحد والمتعدّد وهذا يؤكد بقوله تعالى: ﴿فعَقَرُوهَا﴾.

﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَىٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾.

﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ أي رسول الله صالح عليه السلام، لمَّا همُّوا بعقرها، قال لهم ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي احذروا ناقة الله فلا تمسُّوها بسوء، وأضيفت إلى الله، لأنها آية دالة على توحيده، وعلى نبوة رسوله صالح عليه السلام ﴿ وَسُقۡيَىٰهَا ﴾ أي واحذروا أن تمنعوها من شربها ﴿لها شِرْبٌ ولكم شربٌ يوم معلوم﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ أي في وعيده بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي ضربوا قوائمها بالسيف فقتلوها، وأسند القتلُ إليهم لرضاهم به ﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم ﴾ أي فأطبق الله عليهم العذاب، ويقال: دمدمت عليه أي سوَّيتُ عليه، الأرض، أي أهلكهم الله هلاك استئصال ﴿ بِذَنۢبِهِمۡ ﴾ بسبب ذنبهم المحكي عنهم، والتصريحُ بذلك، مع دلالة الفاء عليه، للإنذار بعاقبة الذنب، ليعتبر به كل مذنب ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أي الدمدمة بينهم، فلم يفلت منهم أحد، من صغير وكبير.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ أي عاقبتها، كما يخاف سائر المعاقِبِينِ، وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا إلاّ بحق، وكلٌّ من فعل بحقّ، فإنه لا يخاف عاقبة فعله، ثم إنه تعالى عظيم كبير يفعل ما يشاء ﴿لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ﴾، والله أعلم بمراده.

وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الشمس»

* * *

سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية وهي إحدى وعشرون آية

قيل نزلت هذه السورة في أبي بكر رضي الله عنه وإنفاقه، وفي أمية بن خلف وبخله وكفره لكن معانيها عامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ ﴾.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ أي يغشى الشمس أو النهار، أو كل ما يواريه ظلامه، أقسم الله بالليل لأنه سَكَنٌ لكافة الخلق.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ تبين بطلوع الشمس.

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾.

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ أي والقادر العظيم القدرة، الذي قدر على خلق الذكر والأنثى، من ماء واحد، والذَّكرُ والأنثى يتناول جميع ذوي الأرواح، لأن كل حيوان إما ذكرٌ أو أنثى.

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا جواب القسم، وشتَّى جمع شتيت، مثل مرضى ومريض، أي مختلفة في الخير وفي الشر.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ أي أعطى حقوق ماله ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ ربه فاجتنب محارمه.

﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ .

﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام، وآمن بلقاء الله والجنة.

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ ﴾ فسنهيئه في الدنيا ﴿ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ وهو العمل بما يرضاه ربه، وللخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة، والأعمال بالعواقب، فكلُّ ما أدت عاقبته إلى يسر وراحة، فإن ذلك من اليسرى، وكلُّ ما أدت عاقبته إلى عسر فهو من العسرى.

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ ﴾ بماله فلم يبذله في سبيل الخير ﴿ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ أي زهد فيما عنده تعالى، كأنه مستغنى عنه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة.

﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي وكذَّب بالجنة ونعيمها وبلقاء الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة، كدخول النار ومقدماته لاختياره لها، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة فقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة»، فقالوا: يا رسول الله: أفلا نتَّكلُ على كتابنا، ونَدَع العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فيصير لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتَّقىٰ. وصَدَّق بالحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَىٰ. . .﴾»[1] الآيات.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ﴾ أيْ أيُّ شيء يغني عنه ماله؟ وهو استفهام إنكاري ﴿مَالُهُۥٓ﴾ الذي يبخل به ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي إذا هلك وتردى في قعر جهنم؟ ما الذي ينفعه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه؟ كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي إنَّ علينا أن نبين لهم طريق الهدى، وما يؤدي إليه، وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه، حيث بيّنّا حال من سلك طريق الهداية، وطريق الضلالة، ترغيباً وترهيباً.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣/٢١٦.

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أي لنا ما في الدنيا والآخرة، والتصرف فيهما، كيفما نشاء، فنفعل فيهما ما نشاء.

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ .

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ ﴾ أي خوفتكم ﴿ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أي تتلظى، يعني تتلهَّب وتتوقَّد.

﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ .

﴿ لَا يَصْلَاهَا ﴾ أي لا يلزمها مقاسياً شدتها ﴿ إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أي الكافر، فإن الفاسق وإن دخلها لم يلزمها.

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ .

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي كذب الرسل، وأعرض عن الإيمان والطاعة.

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ .

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴾ وسيبعد عنها ﴿ الْأَتْقَى ﴾ أي المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي، فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها.

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ﴾ للفقراء ومصارف الخير ﴿ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أي يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا يريد به رياء، وسمعة.

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾.

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ أي ليس لأحد عنده نعمة، من شأنها أن تُجزى وتُكافأ، فيقصد بإيتاء ما يؤتي مجازاتها.

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ استثناء منقطع، أي إلا أن يفعل فعلاً يبتغي به وجه ربه، فيجازى عليه، أي ما ينفق إلا ابتغاء وجه الله وطلباً لمرضاته.

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ وعد بالثواب الذي يرضيه وهو كقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ أي وبالله لسوف يرضى، وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه، على أكمل الوجوه، إذ به يتحقق الرضا. وأجمع المفسرون من أهل السنة، على أن المراد من الأتقى هو «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه، والشيعة بأسرهم يقولون هو «علي بن أبي طالب»، ولا يمكن حملها على علي، لأنه قال في وصف هذا الأتقى ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ وهذا لا يصدق على علي، لأنه كان في تربية النبي ﷺ لأنه أخذه من أبيه، وكان يطعمه ويسقيه، ويكسوه ويربّيه، وكان ﷺ منعماً عليه نعمة يجب جزاؤها، أما أبو بكر فلم يكن للنبي ﷺ عليه نعمة دنيوية، بل أبو بكر كان ينفق على الرسول ﷺ، فثبت أن الآيات نزلت في أبي بكر لا في علي رضي الله عنهما جميعاً، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الليل»

* * *

سُورَةُ الضُّحَىٰ

مكية وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾.

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ المراد به وقت الضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس، وصدر النهار وقيل: أريد به النهار، بدليل قوله تعالى: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ في مقابلة ﴿بياتا﴾.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي إذا اشتد ظلامه، وغطّى كل شيء بظلامه، وهدأت فيه الأصوات.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ جواب القسم أي ما تركك ربك منذ اختارك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي وما أبغضك منذ أحبك، روي أن الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ أياماً، فقال المشركون: إن محمداً ودَّعه ربُّه وقلاه، فنزلت السورة رداً عليهم، وتبشيراً له ﷺ بالكرامة، روي عن جندب بن سفيان البَجَلي قال:

اشتكى رسول الله ﷺ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تَرَكك، لم أره قربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى﴾[1] السورة.

والمرأة في الحديث هي العوراء امرأة أبي لهب، وتُدعى أم جميل.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ أي ما وعد الله لك في الآخرة، من المقام المحمود، والخير الموعود، خير مما أعجبك في الدنيا، فإنها باقية خالصة عن الشوائب، وهذه فانية مشوبة بالمضار، ثم ما أُوتي ﷺ من شرف النبوة لا يعادله شرف، ولا يدانيه فضل، وقيل: المراد بالآخرة عاقبة أمره ﷺ، أي نهاية أمرك خيرٌ من بدايته، لا تزال تتزايد قوة، كأنه تعالى وعده بأنه سيزيده كل يوم عزّاً إلى عزّه[2].

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ عِدَةٌ كريمة، شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا، من كمال النفس، وعلوم الأولين والآخرين، وظهور الأمر،

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٣/ ٢١٧، وقد ذكر اسمها الحافظ ابن كثير في تفسيره، وهي في رواية ابن أبي حاتم.

(٢) انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ مدة من الزمن، فيه لطفٌ بالنبي الكريم، كما أن انقطاع نور الشمس بالليل عن الناس، فيه لطف بالبشر، حيث يخلد الناس إلى الراحة والهدوء، وكما أن غياب الشمس لا يكون على الدوام، بل يعقبه نور الصباح، كذلك أمر الوحي، فهو إبطاء يعقبه عود وازدياد، فلذلك أقسم الله بالضحى، وهو وقت الإشراق والنور، وبالليل وهو وقت اشتداد الظلام، ووقت التهجد والتقرب من الحيّ القيوم، فالأمر إذاً علوٌّ شرف، وازدياد حب، وإشراق بعد ظلمة ليل دامس، ليشرق قلب النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع الوحي الإلهي، ونوره الوضَّاء، ويزداد شوقاً إلى اللقاء.

وإعلاء الدين، بالفتوحات الواقعة في عصره ﷺ، وفي أيام خلفائه وفشو الدعوة والإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، وفي الآخرة من الثواب، ومقام الشفاعة، والأحاديث الواردة في الشفاعة، دالة على أن رضى الرسول ﷺ إنما هو في العفو عن أمته المذنبين.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾؟ ألم تكن يتيماً حين مات أبوك فآواك؟ فقد مات أبوه عبد الله فكفله جده عبد المطلب، فلما مات عبد المطلب، كفله عمه «أبو طالب» إلى أن قوي واشتد، وتزوَّج خديجة رضي الله عنها، وذلك إيواؤه تعالى له.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي غير عالم، ولا واقف على معالم النبوَّة، وأحكام الشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكِتاب﴾ الآية، وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ضلَّ في شعاب مكة، وهو صبي صغير، فرآه أحد الناس فردَّه إلى جده، ولا يجوز أن يفهم به عدول عن الحق، ووقوع في غيٍّ، لأنه ﷺ كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوماً من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعرَّفك القرآن والشرائع.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ أي فقيراً والعَيْلةُ بالفتح: الفقر، وهي مصدر يعيل، فهو عائل، فقد أغناه الله بمال خديجة، وبما حصل من ربح التجارة.

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾ فلا تغلبْه على مالِهِ لضعفه، ولا تحقره.

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ فلا تزجره فابذل قليلاً، أو ردَّ جميلاً، قال ابن أدهم: نِعْمَ القومُ السائلون، يحملون زادنا إلى الآخرة، وقال إبراهيم النخعي: السائل بريد الآخرة، يجيء إلى باب أحدكم، فيقول: أتبعثون إلى أهليكم بشيء؟ وقيل: المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي بشكرها وإشاعتها، وإظهار آثارها، وأحكامها[1]، وأُريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه، من فنون النعم، التي من جملتها ومعظمها «نعمة النبوة» فقد اندرج تحت الأمر تعليمه للشرائع والأحكام، حسبما هداه الله تعالى إليه، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الضحى»

* * *

---

(١) أنعم الله على عبده ورسوله محمد ﷺ بنعم ثلاثة، وأوصاه بوصايا ثلاث مقابلها:

الأولى: قوله سبحانه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ وقابلها بالوصية بقوله: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾.

الثانية: قوله سبحانه: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ وقابلها بقوله: ﴿وأما بنعمة ربك فحدِّث﴾.

الثالثة: قوله سبحانه: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ وقابلها بقوله: ﴿وأمّا السائل فلا تنهر﴾. وكأن الآيات الكريمة تقول: كنت يتيماً، وضالاً، وعائلاً، فآواك الله، وهداك، وأغناك، فتعطَّفْ على اليتيم، وترَحمْ على السائل، وأرشد الضالين إلى طريق الرشاد!!.

سورة الشرح

مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾؟ لمَّا كان الصدر محلاً لأحوال النفس، ومخزناً لسرائرها، من العلوم والإدراكات، عبَّر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها، بتأييدها بالقوة القدسية، وتحليتها بالكمالات الإنسية، أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة، وجمع بين ملكتَيْ الاستفادة، والإفادة، وقيل أريد به ما روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في صباه، فاستخرج قلبه، فغسله! الحديث. روى مسلم عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج منه عَلَقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده إلى مكانه»[1] الحديث، لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى، وزيادة الجار والمجرور «لك» للإيذان بأن الشرح لمنافعه ﷺ ومصالحه، فكأنه قيل

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ٢٦١.

شرحنا، فإن قيل: هذه من المعجزات، فلا يجوز أن تتقدم نبوته ﷺ؟ فالجواب: تقديم المعجز على زمان البعثة جائز، وهو المسمى بالإرهاص، والقول الأول أن الشرح هو تنويره بالحكمة، وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه، هو المراد بالآية الكريمة على ما ذهب إليه الجمهور.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ وخففنا عنك أعباء النبوة، عطف على ما أشير إليه، كأنه قيل: قد شرحنا صدرك، ووضعنا عنك وزرك أي الحمل الثقيل.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي أثقله حتى سمع نقيضه، وهو صوتُ الرَّحْل عند الانتقاض من ثقل الحمل، مثَّل به حاله ﷺ مما كان يثقل عليه ويغمُّه، من هموم وأكدار، بسبب تفجعه على عدم إيمان قومه، بالحمل الثقيل الذي يُقصم له الظهر.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ بأن قرنَّاه بذكر الله في كلمة الشهادة، فلا يُذكر الله إلا ويذكر معه الرسول، وملأنا العالم من أتباعك، كلهم يثنون عليك، ويحفظون سنتك، فذكرك وشرفُك باقٍ إلى يوم القيامة.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ تقرير لما قبله، ووعدٌ كريم، بتيسير كل عسير له ﷺ، وللمؤمنين، وفي كلمة «مع» إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر، كأنه مقارنٌ للعسر.

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ تكرار للتأكيد أو عدة مستأنفة كثواب الآخرة.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ من دعوة الخلق إلى الله ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ أي فاجتهد في عبادة ربك، شكراً لما عدَّدنا عليك من النعم السابقة، وقيل إذا فرغت من صلاتك، فاجتهد في الدعاء.

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وحده ﴿ فَٱرْغَب ﴾ بالسؤال منه ولا تسأل غيره، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الانشراح»

* * *

سُورَةُ التِّينِ

مكية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار، التين فاكهة طيبة لا فاضل لها، وغذاء لطيف، سريع الهضم، ودواء كثير النفع، أما الزيتون فهو فاكهة وإدام، ودواء، وقيل: هما جبلان من الأرض المقدسة، والصحيح هو الأول، قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه، يقال: سينين، وسيناء، عَلَمان للموضع الذي هو فيه، وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أمانته أنه يحفظ من دخله، كما يحفظ الأمين ما

يُؤتمن عليه، وهي مكة شرفها الله تعالى، وحرسها، كما وصفها الله تعالى بقوله ﴿حرماً آمناً﴾ بمعنى ذي أمن.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ جواب القسم، أي جنس الإنسان في أحسن ما يكون، من التقويم والتعديل، صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى: مستوي القامة، متناسب الأعضاء، متصفاً بالحياة والعلم، وعن يحيى بن أكثم أنه فسر «التقويم» بحسن الصورة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ في الآخرة ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي جعلناه من أهل النار، الذين هم أقبح من كل قبيح، وأسفل من كل سافل، لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات، وقيل: رددناه إلى أرذل العمر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فهم لا يُردُّون إلى أسفل السافلين ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير منقطع، على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم، أو لا يُمنُّ به عليهم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي فأي شيء يكذبك أيها الإنسان بالبعث؟ ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ أي بعد ظهور هذه الدلالة الناطقة بالحساب والجزاء؟ وظهور الدلائل والبراهين عليه؟.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أليس الذي فعل ما ذُكر، بأحكم الحاكمين، صنعاً، وتدبيراً، حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء؟ فهي وعيد للكفار، وأنه تعالى يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التين»

* * *

سُورَةُ العَلَق

مكية وهي تسع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾.

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أي ما يوحى إليك، فإن الأمر بالقراءة يقتضي المقروء قطعاً وهذه السورة أول ما نزل من القرآن، إلى قوله تعالى ﴿علَّم الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ كما ينطق به حديث عائشة المتفق عليه المشهور ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ مفتتحاً باسمه تعالى، أو مستعيناً به، كأنه قيل: قل باسم الله ثم أقرأ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أي الذي حصل منه الخلق، لا خالق سواه، أو خلق كل شيء، وصف الرب بهذا الوصف، لتذكير الناس، أول النعماء الفائضة، والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان، على ما هو عليه من الحياة، وما يتبعها من الكمالات، قادر على تعليم القراءة للحيّ، العالم المتكلم.

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ إفراد ما هو أشرف وأظهر صنعاً وتدبيراً، لاستقلاله ببدائع صنعه ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ أي دم جامد يشبه الدودة الصغيرة «العلقة»، وتخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية، مع كون النطفة،

والتراب، أدل منه، لبيان كمال قدرته تعالى، بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة، من التباين البيِّن، ولمراعاة الفواصل، ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه ﷺ منه تعالى، وأقدم الدلائل الدالة على وجوده تعالى، وصف ذاته بذلك، فقال تقدست أسماؤه ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أي خلق جميع المخلوقات.

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾.

﴿ ٱقْرَأْ ﴾ تكرار للمبالغة ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ أي وربك العظيم الجليل الكريم، الذي لا يوازيه ولا يدانيه كريم، وكيف لا وكل كريم ينال بكرمه نفعاً: إمَّا مدحاً، أو ثواباً، أما الرب تعالى فإنه لا يفعله إلا لمحض الكرم.

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ أي علَّم بواسطة القلم، فكما علَّم القارىء بواسطة الكتابة والقلم، يعلمك بدونهما، والقلم صياد يصيد العلوم، يبكي ويضحك، بركوعه يسجد الأنام، وبحركته تبقى العلوم على مر الأيام، القلم قِوام الإنسان، وقوام العالم، فسبحانه من قادر بسوادهِ جعل الدين منوّراً، كما أنه جعلك بالسواد مُبْصِراً.

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾.

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أي علم الإنسان به وبدونه، من الأمور الكلية والجزئية، والجلية والخفية، ما لم يخطر بباله، وفي حذف المفعول من الدلالة على كمال قدرته تعالى، وكمال كرمه، والإشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم، ما لا تحيط به العقول، وما لا يخفى.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله، للمبالغة في الزجر، وقوله تعالى ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ بيان للمردوع، وهذا إلى آخر السورة نزل في «أبي جهل» وهو الظاهر ﴿ليطغى﴾ أي ليجاوز الحَدَّ، ويستكبر على ربه، ويروى أنه قال: ليس بمكة أكرم مني، رداً لقوله تعالى: ﴿وربُّكَ الأَكْرَمُ﴾ فبدل أن يشكر، يطغى ويفجر، وهذا شأن الكافر.

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ أي يطغى لأنه رأى نفسه مستغنياً عن الله بالمال، وتعليل طغيانه برؤيته، لا بنفس الاستغناء، للإيذان بأن مدار طغيانه زعمُهُ الفاسد، بأن الله كما أغناه في الدنيا، سوف يغنيه في الآخرة، إن كان هناك عودة ورجوع.

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان، والالتفات للتشديد في التهديد، والرجعى مصدر بمعنى الرجوع، كالبشرى، أي إن إلى ربك رجوع الكل، بالموت والبعث، لا إلى غيره، فسترى حينئذ عاقبة الطغيان. فإن قيل: قال الله لموسى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ وذكر في أبي جهل ﴿ليطغى﴾ فأكَّده باللام فما السرُّ؟ الجواب: إن فرعون بسلطنته ما كان ليتعرض لقتل موسى، وأما أبو جهل مع قلة جاهه كان يقصد قتل الرسول ﷺ فزاد في الطغيان على فرعون الأحمق.

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ أي أرأيتَ أبا جهل ينهى النبي ﷺ عن الصلاة؟ وهذا تقبيح لحاله، وتعجيب منها، وإيذان بأنها من الشناعة والغرابة، بحيث يجب أن يراها كل من يأتي منه الرؤية، ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه ﷺ، والرؤية هنا بصرية، أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال «أبو جهل» لئن رأيتُ محمداً يصلّي عند البيت، لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة»[1] وهذا تخويف لكل من نهى عن الصلاة، روي عن علي رضي الله عنه أنه رأى في المصلى أقواماً، يصلُّون قبل صلاة العيد، فقال: ما رأيتُ رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقيل له: ألا تنهاهم عن هذا؟ فقال: أخشى أن أدخل تحت قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدَاً إِذَا صَلَّى﴾ وقال أبو يوسف لأبي حنيفة رحمه الله: أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي» قال: يقول «ربنا لك الحمد» ويسجد، ولم يصرِّح له بالنهي خشية النهي عن الخير.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١﴾.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي إن كان ذلك العبد على طريقة سديدة، فيما ينهى عنه من عبادة الأوثان، والدعوة لعبادة الرحمن.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أو كان آمراً بالمعروف والتقوى، داعياً إلى الهدى والرشاد، كيف تزجره وتنهاه؟.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٧٢٤.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي أخبرني إن كان ذلك الناهي مكذباً بالحق، متولياً عنه، والرؤية في الآيتين قلبية، معناها أخبرني، والخطاب لكل من يصلح للخطاب، والمعنى: أخبرني عن شأن ذلك الشقي الذي ينهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعن الطاعة كيف يكون مصيره؟.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي ألم يعلم بأن الله تعالى يطلع على أحواله، فيجازيه بها، حتى اجترأ على ما فعل؟.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل، عن نهيه عن عبادة الله ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي عما هو فيه، واللام للقسم، أي والله لئن لم ينته عن إجرامه وطغيانه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أي لنأخذنَّ بناصيته ولنسحبنَّه بها إلى النار، والسفعُ: القبضُ على الشيء، وجذبه بعنفٍ وشدة.

﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من الناصية ﴿كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ على الإسناد المجازي، أي صاحب هذه الناصية كاذب، فاجر، خاطىء أي كثير الذنوب والإجرام.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي فليدع هذا الشقي أهل ناديه ليعينوه، قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ أي سندعو نحن خزنة جهنم ليجروه إلى النار، وهي في الأصل الشُّرَط، واحدها زبنية من الزبن، وهو الدفع، والمراد ملائكة العذاب.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي أي ليس الأمر على ما هو عليه أبو جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ واثبت أنت على طاعتك لله ﴿وَٱسْجُدْ﴾ وواظب على سجودك وصلاتك، غير مكترث به ﴿وَٱقْتَرِب ۩﴾ وتقرب إلى ربك بالسجود، روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه عزَّ وجلَّ وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء»[1]، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة العلق»

* * *

(١) الحديث أخرجه مسلم رقم ٤٨٢ في الصلاة، وأبو داود رقم ٨٧٥، والنسائي ٢/٢٢٦.

سُورَةُ القَدْرِ

مكية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم، إجلالاً لمحله، بإضماره كأنه حاضر في جميع الأذهان، وأسند إنزاله إلى نون العظمة المنبىء عن كمال العناية به، وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى ﴿ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي ليلة تقدير الأمور وقضائها، والقدر بمعنى التقدير، أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجاور العشر الأواخر من رمضان، ويقول: تحرَّوا ليلة القدر، في العشر الأواخر من رمضان[1]» وقال الحسن: هي ليلة سبعة عشر من رمضان، لأنها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر، والجمهور يرى أنها مختصة برمضان، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ﴾ واختلفوا في تعيينها قيل: هي الليلة

---

(١) أخرجه البخاري في التراويح والاعتكاف، ومسلم في الاعتكاف رقم (١١٨٣) ومالك في الموطأ ١/٣١٦.

الأولى، وقال الحسن السابعة عشرة، وعن أنس الحادية والعشرون، وقال محمد بن إسحق الثالثة والعشرون وقال أبي بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون، وهو المشهور. والمراد بإنزاله فيها، إما إنزاله كله إلى السماء الدنيا، كما روي عن ابن عباس، وإما ابتداء إنزاله كما نقل عن الشعبي.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾؟ أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها، لأن علوَّ قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق، ولا يدريها إلا علاَّم الغيوب.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أي ليلة القدر أفضل وأكبر عند الله من عبادة ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، روي لرسول الله ﷺ أن رجلاً لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون منه، فأُعطوا ليلةً هي خير من مدة ذلك الغازي.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى الأرض في تلك الليلة ﴿ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ جبريل عليه السلام ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ بأمر ربهم ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ من الخير، والبركة، قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ ما هي إلا سلامة، أي لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير، أو ما هي إلاَّ سلامٌ، لكَثرة ما تُسلِّم الملائكة فيها على المؤمنين

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ إلى وقت طلوع الفجر، فكلها خير وبركة، ورحمة وأمان، يحفظ الله فيها العباد من الشرور والآفات، إكراماً لتنزل كتابه العظيم، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة القدر»

* * *

سُورَةُ البَيِّنَةِ

مدنية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى، وإيرادهم بذلك العنوان، للإشعار بعلة ما نسب إليهم من الوعد باتباع الحق، فإنَّ مناط ذلك، وجدانهم له في كتابهم ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ عَبَدة الأصنام ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منفصلين عن الكفر[1]، ومنتهين عنه، أو عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق، والإيمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان، وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون: «اللهمَّ انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان» ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ حتى أتتهم الحجة الواضحة، وهي بعثة الرسول ﷺ فإنه مبين للحق.

---

(١) أي ما كانوا منتهين عمَّا هم عليه من الكفر، حتى تأتيهم الحجة الواضحة، وهي بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلما بُعث الرسول الكريم، اضطربت الخواطر والأفكار، وتشكَّكَ كل في دينه ومذهبه، ودلَّ على هذا قوله تعالى بعده: ﴿منفكين حتى تأتيهم البينة﴾.

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ .

﴿ رَسُولٌ ﴾ بدل من البيِّنة، عبَّر عنه ﷺ بالبينة للإيذان بغاية ظهور أمره، وكونه ذلك الموعود في الكتابين، وأن ذاته كانت بيِّنة على نبوته، وأن مجموع الأخلاق الحاصلة فيه كان بالغاً حد الإعجاز، وإن معجزاته في غاية الكثرة والظهور، ولذلك سماه الله سراجاً منيراً ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي رسول كائن من عند الله تعالى ﴿ يَتْلُوا۟ ﴾ أي يقرأ عليهم ﴿ صُحُفًا ﴾ أي أوراقاً ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ منزهة عن الباطل.

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

﴿ فِيهَا ﴾ أي في الصحف ﴿ كُتُبٌ ﴾ مكتوبات، وقيل: الكتب الأحكام، كقوله تعالى : ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ﴾ أي حكم، وفي الحديث «لأقضين بينكما بكتاب الله» أي بحكم الله تعالى ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والصواب، مستقلة بالحجة والدلالة.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ .

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في أمر الرسول ﷺ، والكلام مسوقٌ لغاية التشنيع على أهل الكتاب ببيان أنَّ ما نُسِب إليهم من الانفكاك، لم يكن لاشتباه ما في الأمر، بل كان بعد وضوح الحق، وتبين الحال، وانقطاع الأعذار بالكلية، وهو السرُّ في وصفهم بإيتاء الكتاب، المنبىء عن تمكنهم من مطالعته، والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام والأخبار التي من جملتها نعوت النبي ﷺ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أي إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة، الدالة على أن رسول الله ﷺ هو الموعود في كتابهم، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، بغياً وحسداً.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي والحال أنهم ما أمروا بما أمروا في كتابهم، إلا لأجل أن يعبد الله ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من غير شرك ونفاق، أي جاعلين دينهم خالصاً له تعالى، ففعل اليهود والنصارى، ليس بعبادة، وإن تضمن نهاية التعظيم، لأنه غير مأمور به ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام مؤمنين بجميع الرسل الكرام ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ أي يؤدوا الصلاة بشروطها، ويدفعوا الزكاة إلى مستحقّيها من الفقراء والمساكين ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ أي دين الملة القيمة. بيَّن الله تعالى في هذه الآية، أنه لا بدّ من العلم، والإخلاص، والعمل، ثم قال: وذَلِكَ المجموع هو ﴿دينُ القَيِّمة﴾، أي البيّنة المستقيمة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ بيان لحال الفريقين في الآخرة، بعد بيان حالهم في الدنيا، وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم لأهل الكتاب، ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة، وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقق مضمونها لا محالة ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب، لا ينافي تفاوت عذابهم، فإن جهنم دركات، وعذابها ألوان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه ﴿ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ أي هم شر الناس، وشر الخليقة على الإطلاق، فيكون في حيّز التعليل لخلودهم في النار.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بيانٌ لمحاسن أحوال المؤمنين، إثْرَ بيان حال الكفرة، جرياً على السُنَّة القرآنية، من شفع الترهيب بالترغيب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي المنعوتون بما هم عليه من الإيمان والطاعة ﴿هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي هم خير الخليقة التي خلقها الله، وهم السعداء الأبرار.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي﴾ بغير أخدود ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ متنعمين بفنون النعم، الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخير البرية، في مقابلة ما وصفوا به، وبيان كونه من عند الله، وتأكيد الخلود بالأبدية من الدلالة على حسن حالهم ما لا يخفى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول أعمالهم التي قدمّوها ابتغاء وجه الله ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الخيرات والكرامات، والثواب العظيم في دار النعيم، حيث أعطوا ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذُكر من الجزاء والرضوان ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ فإن الخشية ملاك الأمر، والباعث على كل خير، وهو من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى، ووصفُهم بأنهم ﴿خير البرية﴾ يدلُّ على فضل المؤمنين من البشر، على الملائكة، لأن البرية: الخلقُ، فكأن الآية تقول: إنهم خير المخلوقات على الإطلاق، ويدخل في المخلوقات الملائكة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة البيّنة»

* * *

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

مكية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي حركت الأرض تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً، أي الزلزال المخصوص، على مقتضى المشيئة الإلَهية، وذلك عند النفخة الثانية، لقوله تعالى:

﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أي كنوزها وموتاها، وإظهار الأرض لزيادة التقرير، أو الإيماء بتبدل الأرض غير الأرض.

﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ لما بهرهم من الأمر الفظيع، أي قال كل فردٍ من أفراد الناس، المؤمن بقوله بطريق الاستعظام للخطب، والكافر بالتعجب من أمر القيامة وأهوالها.

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي في ذلك اليوم العصيب الرهيب ﴿ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أي تشهد بما فُعل على ظهرها، حيث ينطقها الله تعالى، فتخبر بما عمل عليها من خير أو شر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عَبْدٍ، أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا، فهذه أخبارها»[1].

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أي تحدِّث الأرض بما جرى بسبب إيحاء ربك لها، بأن أمرها أن تنطق بكل ما حدث وجرى فوق سطحها.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم إذ يقع ما ذُكر ﴿ يَصْدُرُ النَّاسُ ﴾ من القبور إلى الموقف، ثم ينصرفون عنه يقال: صَدَر القومُ صدوراً، أي انصرفوا ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أي متفرقين ـ بحسب مراتبهم ـ بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين، كما في قوله تعالى: ﴿فتأتون أفواجاً﴾ ﴿ لِّيُرَوْا ﴾ أي لكي يروا ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي جزاء أعمالهم.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ﴾.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٣٣٥٠ وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٢ وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٠.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ أي فمن يفعل من الخير، ولو شيئاً قليلاً مثل وزن الذرة من التراب، يجد ثوابه عند الله في الآخرة.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ أي ومن يفعل من الشر ولو شيئاً قليلاً وزن الذرة، يجد جزاءه عليه[1]، والمراد بالرؤية وجود ما يعادلها من خيرٍ أو شر، فـ «مَنْ» الأولى مختصة بالسعداء، والثانية بالأشقياء، وحسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين..

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الزلزلة»

* * *

(١) وقيل: معنى الآية أن من يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الأشقياء يره.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

مكية وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١﴾.

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ أقسم الله سبحانه بخيل الغزاة، التي تعدو نحو العدوِّ عدواً[1]، والضَّبحُ: صوتُ أنفاسها إذا عدت وأسرعت في الجري، وهو صوت ليس بصهيلٍ، ولا حمحمة، ولكنه صوت نَفَسٍ، والمراد بالعاديات عند أكثر المحققين، أنها الخيل، لأن ألفاظ هذه الآية تنادي أن المراد بها الخيل، أقسم الله تعالى بفرس الغازي، لما فيه من منافع الدنيا والدين، وتنبيهاً على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله، وإنما قال: «ضبحاً» لأنه أمارة يظهر به التعب على الخيل، فكأنه قال إن الفرس مع ضعفه لا يترك طاعتك، فلتكن في طاعة مولاك كذلك.

---

(١) الحكمة من القَسَم بالخيل المذكورة لينوّه بشأنها، ويعلي بقدرها في نفوس المؤمنين، ليعتنوا بتدريبها على الكرِّ والفرّ، وليعتنوا بالفروسية التي هي درع الحرب، ليكون كل واحد مستعداً للجهاد، ولهذا قال المصطفى ﷺ: «الخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ الإيراء: إخراجُ النار، والقدحُ: الصكّ يقال: قدح فأورى، أي فالتي توري النار من حوافرها.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ والإغارة سرعة الهجوم على العدوّ وقت الصبح، وهو الوقت المعتاد في الغارات، يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون عليهم صباحاً لأخذهم على غفلة وعلى حين غرة.

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ فيهجن بذلك الوقت غباراً، وتخصيص إثارته بالصبح، لأنه لا يظهر ثورانه بالليل، وبهذا ظهر أن الإيراء واقع في الليل، ولله در شأن التنزيل.

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ ﴾ أي فتوسطن بذلك العَدْو والجري ﴿ جَمْعًا ﴾ أي توسَّطن جموع الأعداء، ووسطه بمعنى توسطه.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ أي لكفور جاحد لإنعام الله، أي إنه لنعمة ربه لشديد الكفران، وأصل الكنود منعُ الحق والخير، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً، والمراد بالإنسان الكافر بدليل قوله: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ الإنسان على كنوده وجحوده ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ يشهد على نفسه، لظهور أثره عليه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾ أي المال كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ أي شديد الحب للمال، حريص على جمعه، مجد في طلبه، ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح، بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور، الداعية للمنافقين إلى النفاق، حب المال، لأنهم بما يظهرون من الإيمان، يعصمون أموالهم، ويحوزون من الغنائم نصيباً.

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ﴾ .

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾ أي الإنسان الكافر ﴿ إِذَا بُعْثِرَ ﴾ إذا أُثير وبُعث ﴿ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ أي من في القبور من الموتى، و «ما» بمعنى «مَنْ» وفيها تهديد ووعيد، والهمزة للإنكار، والفاء للعطف على مقدَّر، أي أيفعل ما يفعل من القبائح، ولا يلاحظ ما سيحلُّ به إذا بُعثر ما في القبور؟.

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ من الأسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون، والتحصيل في اللغة: تمييز ما يحصل، ومعنى حصل، أي أظهره محصلاً مجموعاً.

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ أي المبعوثون كنى عنهم بضمير العقلاء، بناءً على تفاوتهم في الحالين ﴿بِهِمْ﴾ أي بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاضلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ يكون ما ذكر ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ أي عالم بظواهر ما عملوا، وبواطنه، علماً موجباً للجزاء، متصلاً به، كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم، وإلاَّ فمطلق علمه تعالى محيطٌ بما كان وما سيكون، والله أعلم بمراده، وبأسرار كتابه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة العاديات»

* * *

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾.

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ القرعُ: هو الضرب الشديد، بحيث يحصل منه صوت شديد وقوارع الدهر شدائده، والقارعة من أسماء القيامة، سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع، بفنون الإفزاع والأهوال، وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال.

﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾.

﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ مدار إفادة الهول ههنا هو كلمة ما القارعة أيْ أيّ شيء عجيب في الفخامة والفظاعة هي؟ ووضعَ الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾؟ أي هل تعلم وهل تدري ما هي القارعة؟ إنها أمر عظيم، وكرب جسيم، لا يعلم حقيقتها إلاّ علاّم الغيوب.

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ شبَّههم بالفَراش في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والفراش هي التي تراها تتهافت في النار، وفي آية أخرى شبه بالجراد المنتشر.

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ أي الصوف المندوف في تفرق أجزائها، وتطايرها في الجو، وكلا الأمرين من آثار القارعة، بعد النفخة الثانية، وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى، لكنَّ تسييرها، وتسوية الأرض، بعد النفخة الثانية.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي فأما السعداء الأبرار، الذين رجحت حسناتهم فهم في معيشة طيبة، وسعادة كاملة مرضية، يرضاها صاحبها.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي زادت سيئاتهم بأن لم يكن لهم حسنة يُعبأ بها، أو ترجحت سيئاته.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ فَأُمُّهُۥ ﴾ أي فمأواه، وعبَّر عن المأوى بالأم، لأن أهلها يأوون

إليها، كما يأوي الولد إلى أمه ﴿هَاوِيَةٌ﴾ هي من أسماء النار، من هوى، يهوي من باب ضرب سقط من أعلى إلى الأسفل.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الضمير يعود إلى الهاوية، والهاء للسكت، وإذا وصل القارىء حذفها، ثم فسَّرها فقال:

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي نار بلغتْ النهاية في الحرارة، وهو تقريرٌ لها بعد إبهامها، والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة، نعوذ بالله منها، ومن جميع أنواع العذاب، ونسأل الله التوفيق وحسن المآب، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة القارعة»

* * *

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مكية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾.

﴿أَلْهَاكُمُ﴾ أي شغلكم، وأصله الصرفُ إلى اللهو، ألهاني الشيء شغلني ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التباهي بالكثرة، في الأموال والأولاد عن طاعة الله، عن مطرف بن عبد الله عن أبيه، قال: «انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ فقال: يقول ابنُ آدم: مالي، وهل لك من مالك إلاَّ ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقت فأمضيتَ»[1]؟ أي أنفذت العطاء وبذلته.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي حتى أدركتم الموت على تلك الحالة،

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٣٥١ في التفسير وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد رقم ٢٩٥٨ بلفظ يقول العبد: «مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث..» الحديث. وأخرجه النسائي في الوصايا ٦/ ٢٣٨.

وأصبحتم من أهل القبور، فمتُّم ودفنتم في المقابر، أو عدَّدوا أسماء الموتى، روي أن بني عبد المناف، وبني سهم من قريش، تفاخروا فقال كل من الفريقين: نحن أكثر منكم سيداً، وأعظم نفراً، فكثَّرهم بنو عبد مناف ـ أي زادوا عليهم في الكثرة ـ فقال بنو سهم: إن البغي أفنانا في الجاهلية، عدُّوا مجموع أحيائنا وأمواتنا، مع مجموع أحيائكم وأمواتكم، ففعلوا فزاد بنو سهم، فعبَّر عن بلوغهم ذكرَ الموتى، بزيارة القبور، تهكماً بهم[1]، وإنما حذف الملهيُّ عنه للتعظيم، أي ألهاكم التكاثر عن الدين، هب أنكم أكثر منهم عدداً فماذا ينفع؟.

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر أن تكون الدنيا جميع همّه، والمعنى: ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء من أن السعادة بكثرة العدد، قال الحسن: لا يغرنَّك كثرةُ من ترى حولك، فإنك تموت وحدك، وتُبعث وحدك، وتُحاسب وحدك، وتقريره ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في القبور، قال علي رضي الله عنه: هذه الآية تدل على عذاب القبر.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وفي «ثُمَّ» دلالةٌ على أن الثاني أبلغ من الأول، أو الأول في القبر، والثاني عند النشور.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ تكرار الردع للإنذار والتخويف ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ جواب لو

(١) القول الأول هو الأظهر وهو الصواب أي حتى جاءكم الموت وأصبحتم في عداد الموتى، وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٨٢.

محذوف، أي لو تعلمون ما في أيديكم ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور، لشغلكم ذلك عن التكاثر بزخارف الدنيا، ولما خُدعتم بها عن الآخرة.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي والله ستشاهدون الجحيم عياناً ويقيناً، وترونها رأي العين بأبصاركم بعد الموت.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تكرار للتأكيد، أو المراد بالأولى المعرفة، وبالثانية المشاهدة ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين، فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ والخطاب لكل من ألهته دنياه عن دينه، كمن قَصَر همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلا ليأكل الطيب، ويلبس الليّن، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، فأما من تمتع بنعمة الله، وتقوَّىٰ بها على طاعته، فهو بمعزل من ذلك، وفي الآية تهديد عظيم للعلماء، فإنها دلت على أنه لو حصل اليقين بما في التفاخر من الآفة، لتركوا، فالويل للعالم الذي لا يكون عاملاً بعلمه، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة التكاثر»

* * *

سُورَةُ العَصْرِ

مكية وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ①﴾.

﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى ﴿والصلاة الوسطى﴾[1] وقيل: ورب العصر، وعن ابن عباس هو الدهر، وقيل: أراد بالعصر زمن رسول الله ﷺ لفضله على سائر الأعصار، وجواب القسم، قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أي جنس الإنسان، ويدل عليه الاستثناء، ﴿إلا الذين آمنوا﴾ والمعنى: أقسم لكم على شقاء البشر وخسرانهم، وهذا حكم ظاهر، ولنجعلْ الدنيا في هذا دليلاً، فالأرض يسكنها نحو ألف ألف مليون من البشر، أربعون في المائة منهم وثنيون، يشركون بالله، ويعبدون

---

(١) وفي الحديث الصحيح «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وُتر أهلُه، وماله» أي أصابته داهية عظيمة كحريق أو غرق، ففقد الأهل والمال.

الأصنام، ويقدمون أعز ما لديهم من نفسٍ ومال في سبيلها، وثلاثون في المائة مسيحيون، يخلطون في دينهم، ويؤلّهون البشر، وواحد منهم في المائة يهود، وهم يظنون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقد ران على قلوبهم الغلظةُ والقسوة، واستولى عليهم الحرص والشهوة، وأكثر من عشرين في المائة منهم المسلمون، الجمهرةُ منهم يخالفون الله ورسوله، ويسيرون في طريق التقليد، ويبتعدون عن تعاليم دينهم الخالد، فالإنسان حقت عليه كلمة الله، وصار في خسر وفساد، وبعدٍ عن الإيمان، وضياء الإسلام، فإن قيل: إنه تعالى قال في سورة التين ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسنِ تقويم﴾ فهناك يدل على أن الابتداء من الكمال إلى النقصان، وههنا يدلُّ على أن الابتداء من النقصان إلى الكمال ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾؟ والجواب المذكور في التين أحوال البدن، وههنا أحوال النفس، وعن بعض السلف قال: تعلمتُ معنى السورة من بائع ثلج، كان يصيح ويقول: ارحموا من يذوب رأسُ ماله، فقلت هذا معنى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ فإن الإنسان لا ينفك عن خسران، والخسرانُ تضييعُ عمره.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا، وهم في تجارة لن تبور، وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم[1] ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ بيان لتكميلهم لغيرهم، أي وصَّى بعضهم بعضاً

(١) في هذه الآيات وعيدٌ شديد للبشر، لأنها حَكمت بالخسران على جميع الناس، إلاَّ من كان آتياً بهذه الأمور الأربعة: وهي: ١ ـ الإيمان ٢ ـ العمل الصالح، ٣ ـ التواصي بالحق، ٤ ـ التواصي بالصبر، وأنه كما يلزم المكلَّف تحصيل ما يخص نفسه من فعل الخير، فكذلك يلزمه الدعاء إلى الدين، والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب لغيره ما يحبه لنفسه.

بالاستمساك بالحق، وهو الدين أجمعُه، والخير كلُّه، من توحيد الله وطاعته، والالتزام بشريعته ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ أي تحاثوا وأوصى بعضهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي، وعلى الطاعة، التي يشق على النفس أداؤها، وعلى ما يبلو الله تعالى به عباده، وتخصيصُ هذا بالذكر، مع اندراجه تحت التواصي بالحق، لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة، التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى، والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضاء بما فعله الله تعالى، فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق إليه، من فعل أو ترك، بل هو الرضا بما ورد منه تعالى ظاهراً وباطناً، وإنما ذكر سبب الربح دون الخسران، اكتفاءً ببيان أن ما عداه يؤدي إلى الخسران والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة العصر»

* * *

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ أي شدة عذاب ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الذي يعيب الناس من خلفهم ﴿لُّمَزَةٍ﴾ أي من يعيبهم مواجهة، وبناء فُعَلَة للدلالة على أن ذلك عادة مستمرة، وكذلك اللُّعَنة، والضُّحكة، قيل: نزلت في «الأخنس» فإنه كان ضارياً بالغيبة، وقيل في الوليد، واختصاص السبب، لا يستدعي خصوص الوعيد بهم، بل كل من اتصف بوصفهم القبيح، فله ذنوب مثل ذنوبهم، والمغتاب، والعيَّاب، والمستهزىء، والمقلد بأقوالهم وأصواتهم ليضحكوا، هذه الوجوه متقاربة، راجعة إلى أصل واحد، وهو الطعن، وإظهار العيب قد يكون باللفظ، وقد يكون بالإشارة، وكلها داخلٌ تحت النهي.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ②﴾.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ بدل من كل، وإنما وصفه الله بها لأنه يجري

مجرى السبب، لأن ظنه أن الفضل في المال، ولأجل ذلك يستنقص غيره. ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي جعله عدة لحوادث الدهر، أو عدَّه مرة أخرى.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي تركه خالداً في الدنيا لا يموت، قال الحسن: ما رأيت يقينا لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه، من الموت.

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي في النار المؤججة، التي تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها، كما أن شأنه كسر أعراض الناس.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾؟ تعجيب وتعظيم لشأنها.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾.

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ أي هي نار الله ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ بأمر الله عز سلطانه، وفي إضافتها إليه سبحانه، ووصفها بالإيقاد، من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي تعلو أوساط القلوب، وتشتمل عليها، وتخصيصها بالذكر، لأن الفؤاد ألطف ما في البدن، وأشد تألماً، ولأنه محل العقائد الزائغة.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾.

﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي مطبقة، من أوصدت الباب إذا أطبقته.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿فِي عَمَدٍ﴾ جمع عماد ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي توصد عليهم الأبواب، وتمدد على الأبواب العُمُد، استيثاقاً في استيثاق، إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية اللهم أجرنا منها يا خير مستجار، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الهمزة»

* * *

مكية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والهمزة لتقرير رؤيته والرؤية علمية أي أسمعتَ الأخبار به متواتراً فقامت لك مقام المشاهدة ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ تعليق الرؤية بكيفية فعله عزَّ وجلَّ، لا بنفسه بأن يقال: ألم تر ما فعل ربك الخ، لتهويل الحادثة، والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة عجيبة، دالة على عظم قدرة الله تعالى، وعزة بيته، وشرف رسوله ﷺ فإن ذلك من الإرهاصات، لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها ﷺ، وتفصيلها أن «أبرهة الأشرم» ملك اليمن، بنى بصنعاء كنيسة، وأراد أن يصرف إليها الحجَّاجَ، فخرج رجل من كنانة، فدخل فيها ليلاً، وتغوَّط ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة، فقال: من اجترأ عليَّ، فقيل: صَنَع ذلك رجلٌ من العرب، فحلف أبرهة ليسيرنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها، فخرج مع جيشه ومعه فيل، كان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيره، فلما بلغ المغمَّس أمر بالغارة على إبل الناس، فجمع أنعام أصحاب الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، فخرج إليه عبد المطلب، فعظم

في عين أبرهة، لأنه كان جسيماً وسيماً، فأكرمه ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال له عبد المطلب: حاجتي أن تردَّ عليَّ مائتي بعير، فلما ذكر حاجته قال: سقطتَ من عيني!! جئتُ لأهدم البيت الذي هو دينك، ودين آبائك، وشرفكم، فألهاك عنه ذَودٌ أُخذ لك؟ فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت ربٌّ سيحميه، فأمر بإبله فردت عليه، فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب، وأصبح أبرهة بالمغمس، وقد تهيأ بالدخول، فأرسل الله عزَّ وجلَّ طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلاَّ هلك، وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾؟ بيان لما فعله الله تعالى بهم، والهمزة للتقرير، ﴿ كَيْدَهُمْ ﴾ في تخريب الكعبة ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي في تضييع وإبطال، بأن دمَّرهم وأفناهم[1].

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ جماعات، جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعات من الطير في تضامها.

---

(١) كان إهلاك أبرهة الأشرم وجيشه عام مولد النبي ﷺ السعيد، إرهاصاً بنبوته، إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المذكور، من خوارق العادات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أهلك الله أبرهة وجيشه بأضعف جنوده، وهي الطير التي ليس من عادتها أن تقتل، كما أهلك عاداً بالريح العقيم، وفي ذلك عبرة للمعتبرين!!.

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ تَرْمِيهِم ﴾ أي ترمي عليهم ﴿ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾.

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كزرع أكله الدود، أو كورقٍ أكلته الدواب ثم راثته. ولا يمكن أن يقال: إنه من الأخبار الضعيفة، لأنه لم يكن بين عام الفيل، ومبعث الرسول ﷺ إلا نيِّفٌ وأربعون سنة، ويوم تلا رسول الله ﷺ هذه السورة، كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة، ولو كان النقل ضعيفاً لشافهوه بالتكذيب، ولمَّا لم يكن كذلك، علمنا أنه لا سبيل للطعن فيه والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الفيل»

* * *

مكية وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ ﴾.

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ متعلق بقوله ﴿فليعبدوا﴾ أمرهم أن يعبدوه لإيلافهم، وقيل: بمضمر تقديره: فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل، لإيلاف قريش، أي من أجل ائتلافهم واجتماعهم على شكر الله

﴿ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ بدل من الأول، تفخيماً لأمر الإيلاف، وتعظيم المنة فيه، والاسم الألفة، تألف القوم: اجتمعوا وتحابوا، والمعنى: إن هذه الألفة إنما حصلت بتدبير الله تعالى، فمن أجل تيسير الله وتسهيله على قريش رحلتهم في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة ﴿ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ وكانت لقريش رحلتان: رحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله، فلا يتعرض لهم أحد بسوء، فلما

أهلك الله أصحاب الفيل، ازداد موقع أهل مكة في القلوب هيبةً واحتراماً، ولذلك لم يتعرض لهم أحد بسوء، فذكَّرهم تعالى بهذه النعمة الجليلة.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ يعني الكعبة المشرفة، وفي الكلام معنى الشرط، إذ المعنى: إنَّ نعم الله تعالى عليهم غير محصورة، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة.

والإنعام على قسمين: ١ ـ دفع الضر ٢ ـ جلب النفع، والأول أهم، بيّن الله الأول في سورة الفيل، والثاني في هذه السورة.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم ﴾ أي أغدق عليهم النعم، بعد شظف العيش، وشدة الفقر ﴿ مِّن جُوعٍ ﴾ شديد قبلهما ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ عظيم، وهو خوف التخطف في بلدهم وأسفارهم، فقد ذكّرهم تعالى بنعمتين عظيمتين هما: نعمة الغنى واليسار، ونعمة الأمن والاستقرار، فإن لم يكن لهم سوى هاتين النعمتين لكفاهم ذلك اعترافاً بفضل الله عليهم، والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة قريش»

* * *

سُورَةُ المَاعُون

مختلف فيها وهي سبع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾.

﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهامٌ أريد به تشويق السامع، إلى معرفة من سيق الكلام له، والتعجيب منه ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي بيوم الجزاء والحساب، والخطابُ لرسول الله ﷺ، وقيل: لكل عاقل، والرؤية بمعنى المعرفة، أي هل عرفتَ الذي يكذب بالحساب والجزاء؟ هل عرفت من هو، وما هي أوصافه؟.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ جواب شرط محذوف، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالدين؟ إن لم تعرفه، فهو الذي يدفع اليتيم، دفعاً عنيفاً، قيل: هو أبو جهل، كان وصيّاً ليتيم، فجاءه يسأله من مال نفسه، فدفعه، وقيل: في رجل من المشركين، نحر جزوراً، فسأله يتيم لحماً فقَرَعه بعصاه، وإذا كان الإنسان منكراً للقيامة، لم يترك شيئاً من المشتهيات، فإنكار القيامة كالأصل لجميع الكفر والمعاصي.

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أي لا يحثُّ غيره على إطعام المسكين، الذي عضَّه ألم الجوع، لعدم اعتقاده بالجزاء، وإذا كان هذا حال من ترك حثَّ غيره، فما ظنُّك بحال من ترك ذلك، مع القدرة عليه؟.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أي غافلون عنها غير مبالين بها يؤخرونها عن أوقاتها، وتلك هي صلاة المنافقين؟.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ أي هم المرائون بأعمالهم، يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هم المنافقون، يتركون الصلاة إذا غابوا، ويصلون في العلانية، والمؤمن قد يسهو في صلاته، فيتداركها في الحال والمنافق لا يبالي.

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ أي الزكاة أو ما يتعاور عادة من القِدْر، والدلو، والمقدحة، ونحوها، وهو قول أكثر المفسرين عن ابن مسعود، قال: «كنا نعدُّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو، والقِدْر»[1] والله أعلم بمراده.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الماعون»

* * *

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم ١٦٥٧ في الزكاة، وإسناده حسن.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مكية وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ أي الخير المفرط، والكثرة الكثيرة، من العلم والعمل، وشرف النبوة، الجامعة لخير الدارين، والكوثر نهر من أنهار الجنان، وخير كثير جمعه كواثر، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما لكوثر؟ قلنا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ»(١).

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ أي فاعبد ربك الذي أعزَّك بإعطائه، خالصاً لوجهه، أداء لحقوق شكرها، فإنَّ الصلاة جامعة على جميع أقسام الشكر، وقيل المراد بها صلاة العيد «يوم النحر» ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ لوجهه وباسمه مخالفاً لعبدة

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٥٦٣ ومسلم في الصلاة رقم ٣٣٥٧.

الأوثان، انحرْ البُدْن التي هي خيار أموال العرب، وتصدق بها على المحاويج.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي إن مبغضك يا محمد من قومك بمخالفتك لهم من أولئك الفجرة ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي المنقطع عن كل خير، لا أنت، لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين أولادك، فتبقى ذريتك وحسن صيتك، وآثار فضلك إلى يوم القيامة، نزلت في «العاص بن وائل» وذلك أنه رأى النبي ﷺ خارجاً من المسجد، وهو داخل، فالتقيا وتحدثا، وأناس من صناديد قريش، جلوس في المسجد، فلما دخل العاص قالوا: من هذا الذي كنت تحدثت معه؟ فقال: ذلك الأبتر، يعني به النبي ﷺ، وكان قد توفي إبراهيم لرسول الله من خديجة رضي الله عنها، فقال الأشقياء: إن محمداً هو الأبتر، لأنه لا عقب له، فنزلت هذه السورة توضح أن مبغضيه ﷺ هم المبتورون من كل خير، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الكوثر»

* * *

سُورَةُ الكافِرُون
ترتيبها ١٠٩

مكية وهي ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ روي أن رهطاً من قريش قالوا يا محمد: هلمَّ فاتَّبعْ ديننا سنة، ونتبع دينك سنة، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فنزلت، فغدا إلى المسجد الحرام وفيه ملأ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا من مسايرته، وانقطع طمع الكافرين الفاجرين.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي ما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم. أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف ترجى مني في الإسلام؟ فأنا بريء من آلهتكم ومعبوداتكم.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي وما عبدتم في وقتٍ من الأوقات إلهي

الذي أنا على عبادته، فأنتم لا تزالون على ضلال، فلا مساومة بيننا ولا وفاق.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ في الحال، والمراد لا أعبد ما تعبدونه أبداً حييتُ، لا أعبد آلهتكم الآن، ولا في ما يُستقبل من الزمان.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي ولا أنتم في المستقبل عابدون إلهي الحقَّ، فلا معبودنا واحد، ولا عبادتنا واحدة[1].

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ ولي توحيدي وإخلاصي، فليس فيه إذن في الكفر، بل المقصود التهديد، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ كأنه يقول: لكم شرككم وأصنامكم، ولي توحيدي وإيماني، فدينكم الكفر والإشراك، وديني التوحيد والإخلاص، والله تعالى أعلم بمراده.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الكافرون»

* * *

(١) السورة وردت بصيغة التأكيد عن طريق التكرار، لأن الكفار راجعوا النبي ﷺ مراراً، فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموطن، والقرآن نزل بلسان العرب، على أساليب كلامهم وخطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، كما أن مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز.

سُورَةُ النَّصرِ

مدنية وهي ثلاث آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ المراد بالنصر: الظفرُ وإعانة الله، والإظهار على العدو ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ يعني فتح مكة، وقيل جنس نصر الله، ومطلق الفتح وإنما عبَّر بالمجيء تجوزاً، للإشعار بقرب النصر، فكن مترقباً لوروده، مستعداً لشكره، روي أنها نزلت قبل الفتح، وعليه الأكثر، وكان فتح مكة لعشرٍ مضين من شهر رمضان، سنة ثمان من الهجرة، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وطوائف العرب، وأقام بها خمس عشرة ليلة، وحين دخلها وقف على باب الكعبة، ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صَدَق وعدَه، ونصر جنده، وهزم الأحزابَ وحده، ثم قال: يا أهل مكة: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» فأعتقهم، وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم، فعفا عنهم، ثم بايعوه على الإسلام.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾﴾.

﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي أبصرتهم أو علمتهم ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ أي في ملة الإسلام التي لا دين يضاف إليه تعالى غيرها ﴿ أَفْوَاجًا ﴾ أي جماعات جماعات كثيفة، كأهل مكة، والطائف، واليمن، وسائر قبائل العرب، روي أنه ﷺ لما فتح مكة، أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: إذا ظفر بأهل الحرم، فلن يقاومه أحد، وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فقل سبحان الله حامداً له، أي فتعجَّبْ لتيسير الله تعالى، ما لم يخطر ببال أحد، وأحمده على جميل صنعه ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ تواضعاً له ودم على الاستغفار، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلَّى رسول الله ﷺ بعد ما نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ إلاَّ ويقول: سبحان الله وبحمده، أستغفر اللهَ، وأتوب إليه» وقال الحسن: إنه تعالى أعلم رسوله ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمره بالتسبيح والاستغفار، ليختم بالزيادة في العمل الصالح ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ لمن استغفر، والتواب كثير القبول للتوبة، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة النصر»

* * *

سُورَةُ المَسَدِ

مكية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

﴿تَبَّتْ﴾ أي هلكت أو خسرت، والتبابُ: الخسرانُ كما قال تعالى: ﴿وما كيد فرعون إلاَّ في تباب﴾ وتباً له، أي هلاكاً ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ هو «عبد العُزَّى بن عبد المطلب» وإنما كناه والتكنيةُ تكرمة لاشتهاره بكنيته، أو استكره ذكر اسمه، وإيثار التباب على الهلاك لما روي في الصحيحين عن ابن عباس قال: لمَّا نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا، ونادى يا بني فهر، يا بني عديّ، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم ما جرَّبنا عليك إلاَّ صدقاً، قال ﷺ: فإني لكم نذيرٌ بيْنَ يدي عذاب شديد!! فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت تبت يدا أبي لهب[1] السورة ﴿وَتَبَّ﴾ أي وهلك كلُّه، ومعنى ﴿وَتَبَّ﴾ وكان ذلك وحصل له الهلاك والدمار، وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٢٢.

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ أي لا يغني عنه حين حلَّ به الهلاكُ مالُه وما كسبه، من الأرباح والمنافع، وعن ابن عباس ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ولدُه، وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابنُ أخي حقاً، فأنا أفتدي منه نفسي، بمالي، وولدي!! وقد خاب أمله، وما حصل ما تمناه، فافترس ولدَه أسدٌ في طريق الشام، وقد كان ﷺ دعا عليه وقال: «اللهمَّ سلِّطْ عليه كلباً من كلابك» فافترسه الأسد، وكان أبو لهب قد هلك نفسه بالعدسة، فاجتنبه أهله مخافة العدوىٰ، فبقي ثلاثاً حتى أنتن، ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه، فكان الأمر كما أخبر به القرآن، فهو إخبارٌ بالغيب، طابقه وقوعه.

﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ سيدخل نار جهنم لا محالة، بعد هذا العذاب العاجل، فالنار ذات اللهب، للشقي أبي لهب.

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ هي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، عمة معاوية، كانت تحمل حزمةً من الشوك، والحسك، والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي ﷺ، وقيل: كانت تمشي بالنمائم، فتفسد بين الناس، أي توقد بينهم النار ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها.

﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أي في عنقها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ أي حبلٌ من ليفٍ

وشوك، تُعذّب به يوم القيامة، لوضعها الشوك في طريق الرسول ﷺ فإن قيل: إن رسول الله ﷺ كان نبيَّ الرحمة، وصاحب الخُلُق العظيم، فكيف يليق أن يشافه عمه بهذا؟ فالجواب: كان ﷺ لا يسامح أحداً في شيء من باب الدين، ولو كان يداهن أحداً في باب الدين، لفَعَلَه مع عمه، فلما لم تحصل معه، انقطعت الأطماع، وعلم كل أحد أنه ﷺ لا يسامح أحداً في شيء يتعلق بالدين أصلاً، والله أعلم بمراده.

وصلى الله تعالى على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«نم بعونه تعالى تفسير سورة المسد»

* * *

مكية وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو ضمير الشأن، ومدار وضعه مع عدم ذكره، الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد، لا ثاني له، ولا يحتاج إلى شريك، والذي سألتموني عنه هو الله أحد، إذ روي أن قريشاً قالوا يا محمد: صفْ لنا ربك، أمن ذهبٍ هو؟ أم من فضة، أم من ياقوت؟ فنزلت، ولفظ «الأحدُ» يدلُّ على مجامع صفات الجلال، كما دلَّ لفظ «الله» على جميع صفات الكمال وقال ثعلب: إن «أحد» لا ينبىء عليه العدد ابتداءً كما يقال واحد، واثنان ولا يقال: رجل أحد، كما يقال رجل واحد، ولذا اختص به تعالى، فالأحديَّة تتضمن نفي الوالد والولد، ونفي النظير والشبيه، ونفي الكثرة والعدد، فهي صفة الذات الإلهية.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ هو فَعَل بمعنى المفعول من صمد إليه إذا قصده

وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، والمعنى: وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق وقيل الصمد الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال، وقيل: الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وتكرار الاسم الجليل، للإشعار بأنه من لم يتصف بذلك، فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية، بيَّن أولاً ألوهيته عز وجل، المستتبعة لكافة نعوت الكمال، ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد، ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه، وافتقار جميع المخلوقات إليه، وروى البخاري في إفراده عن أبي وائل قال: الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده، وهي رواية عن ابن عباس أيضاً.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة، وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾؟ ولعل الاقتصار على لفظ المضارع لوروده رداً على من قال الملائكة بنات الله، والمسيح ابن الله، أو يطابق قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى قديم ليس بجسم، لا أول لوجوده.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكافئه أحد، أي لا يماثله أحد، وقوله تعالى ﴿أحد﴾ يبطل مذهب النصارى في التثليث، والصابئين في النجوم، ويبطل مذهب من أثبت خالقاً سوى الله تعالى، وقد ورد في فضل هذه السورة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[1] وعن سهل بن سعد قال: جاء رجل

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٩/٥٣ ولفظه عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً =

إلى النبي ﷺ، وشكا إليه الفقر، فقال: إذا دخلت بيتك فسلم، إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد، فسلِّمْ على نفسك، واقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة، ففعل الرجل، فأدرَّ الله عليه رزقاً» والله أعلم بمراده.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك، العاملين لك، الراجين لثوابك، الخائفين من عقابك، المكرمين بلقائك آمين يا معين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الإخلاص»

* * *

= سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يردّدها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له ـ وكان الرجل يتقالُّها ـ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

سُورَةُ الفَلَقِ

مكية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبحُ، وهو قول الأكثر، والفَلَقُ: بفتحتين ضوء الصبح، وقيل: كل ما يفلقه الله تعالى، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك، وفي العياذ باسم الرب، المضاف إلى الفلق، المنبىء عن النور، عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق، عدةٌ كريمة بإعاذة العائذ، مما يعوذ منه، وتقوية لرجائه، بتذكير بعض نظائره، ومزيد ترغيب في الجد والاعتناء، بقرع باب الالتجاء إليه تعالى.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم، خص عالم الخلق بالاستعاذة منه، لانحصار الشر فيه، فإن عالم الملكوت خير كله وعالم الخلق وشرُّه اختياري، كالكفر، والظلم، والطغيان.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ الغاسقُ: الليل ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي اعتكر ظلامه، وأصله الامتلاء، يقال غسقت العينُ: إذا امتلأت دمعاً، والغاسق هو الليل إذا عظم ظلامه، عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ نظر إلى القمر فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب» وقيل: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ دخل في المحاق وهو آخر الشهر، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي دخل ظلامه في كل شيء، وتقييده به، لأن حدوثه فيه أكثر، والتحرز منه أصعب وأعسر، ولذلك قيل: «الليل أخفى للويل»، وإنما أمر بالاستعاذة من شر الليل، لأن في الليل تخرج السباع والهوام، والسارق والمكابر، ويقع الحريق، وتنتشر الأرواح المضرة، الجنُّ والشياطين.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ النفاثات النساء السواحر، اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثُن عليها، ويرقين، وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر، والنفث: النفخُ مع ريق، ومنهم من قال النفخ فقط، ومنه قوله ﷺ: «إن جبريل نفث في روعي» والعُقَد جمع عقدة، وإنما جمع لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد، كان التأثير أكثر وأشد، وتعريفها للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ إذا أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه، والله أعلم بمراده.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الفلق»

* * *

سُورَةُ النَّاسِ

مكية وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي مربيهم ومصلحهم، ودافع ما يضرهم.

﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي مالك جميع الخلق، ملوكاً وأتباعاً، وهو عطف بيان، جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم، ليست بطريق تربية سائر الملوك لما تحت أيديهم، بل بطريق الملك الكامل، والتصرف الكلي.

﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾.

﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ أي هو تعالى ربهم ومعبودهم، الذي لا ربَّ لهم سواه وتخصيص الإضافة بالناس، مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته، وملكوتيته، وألوهيته، للإرشاد إلى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد به «الشيطان» سُمي بفعله مبالغةً، كأنه نفس الوسوسة ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتأخر، إذا ذكر الإنسانُ ربه، لما رُوي عن سعيد بن جبير: إذا ذكر الإنسان ربه، خنس الشيطان وولّى، وإذا غفل رجع ووسوس إليه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ أي قلبهم، يغريهم بالكفر والمعاصي والفجور، ليوقعهم في نار الجحيم، وفي الحديث الشريف «إن الشيطان واضع خطمه ـ أي خرطومه ـ على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله تعالى خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»[1].

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، أي هذا الوسواس الخناس هو من شياطين الإنس والجن، ليفتنوا بني آدم ويضلوهم، كما قال الله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض﴾ والجنّة بكسر الجيم بمعنى الجن، نعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، وعصمنا الله من الغفلة عن ذكره إنه سميع مجيب الدعاء.

«ما ورد في فضل المعوذتين»

١ ـ روى مسلم عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تَرَ آيات

---

(١) أخرجه الحافظ الموصلي، وأخرجه البخاري تعليقاً عن ابن عباس، وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٦١٥.

أُنزلت هذه الليلة، لم يُر مثلهنَّ قَطُّ؟ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾[1].

٢ ـ وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[2].

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى، يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتدَّ وجعُه، كنتُ أقرأ عليه، وأمسحُ عنه بيديه، رجاء بركتيهما»[3].

٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفق منه آناء الليل، وأطراف النهار»[4].

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا، ومن شر ما علمنا وما لم نعمل، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ونبيه وصفيه، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وصلى الله على محمد، وعلى آله مصابيح الأنام، وأصحابه مفاتيح دار السلام، والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا وليَّ العصمة والإرشاد، وهادي الغواة إلى سنن الرشاد، بارىء البرية، مالك الرقاب، عليك توكلي، وإليك متاب، أنت المغيث لكل حائر ملهوف، والمجير من كل هائل مخوف، أحتمي بحرَمِك

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٨١٤ في المسافرين، والترمذي رقم ٢٩٠٥ في ثواب القرآن.
(٢) أخرجه البخاري ٩/ ٥٦ في فضائل القرآن، ومسلم رقم ٢١٩٢ في السلام.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ٩/ ٦٠ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٤٣.
(٤) أخرجه الشيخان البخاري ٩/ ٦٥ في فضائل القرآن، ومسلم رقم ٨١٥ في المسافرين.

المأمون، من غوائب ريب المنون، وألتجيء إلى حرزك الحريز، وآوي إلى ركنك العزيز، وأسألك من خزائن برك المخزون، في مكامن سرك المكنون، خير ما جرى به قلم التكوين، من أمور الدنيا والدين، وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور، لا سيما الاطمئنان بدار الغرور، والاغترار بنعيمها وزهرتها، والافتتان بزخارفها وزينتها، فأعذني بحمايتك، وأعني بعنايتك، وأفض عليّ من شوارق الأنوار الربانية، وبوارق الآثار السبحانية، ما يخلّصني من العوائق الظلمانية، ويجردني من العلائق الجسمانية، وهذب نفسي من دنس الطبائع والأخلاق الردية، ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراق، ليستعد للعبور على سرائر الإنس ويتهيأ للحضور في حظائر القدس، وثبتني على مناهج الحق والهدى، وأرشدني إلى مسالك البر والتقى، واجعل أعز مرامي ابتغاء رضاك، وأشرف أيامي يوم لقاك، يوم يقوم الناس لرب العالمين، واحشرني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام بعون الله العزيز الجليل، وعليه الاعتماد والتعويل، إنه قريب قدير مجيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وقد انتهى تحرير هذا المقتطف بفضله عزَّ وجلَّ في بلدة «صوفيا» من بلاد بلغاريا في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة الشريفة لسنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة وألف من هجرة من له العز والشرف، وأنا الفقير المحتاج إلى عفو به. ولطفه الكثير، المصطفى الحصن المنصوري، والحمد لله في البدء والختام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

«تم تفسير القرآن الكريم بعونه تعالى»

* * *